



"اتفاق أضنة" اتفاق أمني سري؛ وقعته تركيا وسوريا عام 1998 وشكّل "نقطة تحول" رئيسية في مسار علاقتهما، فتحولت من ذروة التوتر إلى تقارب تدريجي ثم "تعاون إستراتيجي" أدى لتوقيعهما عشرات الاتفاقيات في مختلف المجالات. وبعد اندلاع الثورة السورية اتخذت منه المعارضة السورية مستنداً لمطالبة أنقرة بإنشاء منطقة آمنة شمالي سوريا.

السياق التاريخي:

أفرزت تداعيات الحرب العالمية الأولى اتفاقاً بين تركيا وفرنسا - بوصفها دولة انتداب على سوريا - يقضي بترسيم الحدود التركية السورية، نتج عنه "سلخ" تدريجي لأراضٍ ضمت الحزام الشمالي لسوريا منذ ذلك الحين وحتى عام 1939.

وبعد ذلك دخلت العلاقات السورية التركية - حتى نهاية تسعينيات القرن العشرين - مرحلة من التوتر المتفاوت الحدة تبعاً لدرجة شدة الهواجس والمخاوف المتبادلة، حيث اندمجت سوريا تدريجياً في الإطار التحالفي والردعـي المفروض على المنطقة في إطار نظام عالمي ثانـي القطبية طبعـته أجواء الحرب الباردة، فأصبحـت الحدود السورية التركية واحدة من "حدود" هذه الحرب.

وطول عقود تركزـت نقاط الخلاف والتوتر الشـديد بين الـطرفـين حول قضايا الحـدود، والمـياه، والأـكراد، ومستـقبل العـراق، والعـلاقات مع الـولاـيات المـتحـدة، وإـسـرـائيل، والـسيـاسـات الإـقـلـيمـية... إـلـخـ.

لكن العـامل الأـكـبر في توتر عـلاقـات الـطـرفـين - خـلال الثـمانـينـيات والـتسـعـينـيات - كان الدـعم الـذـي ظـلت دـمـشق توـفـره لـحـزـب العـمالـ الـكـرـدـسـتـانـي (PKK) في صـرـاعـه المـسـلحـ معـ أنـقـرـةـ الـذـي اـنـدـلـعـ فيـ 1984ـ، فـكـانـ زـعـيمـهـ عـبـدـ اللهـ أـوجـلـانـ يـقـيمـ فيـ الـعـاصـمـةـ السـوـرـيـةـ، وـسـمـحـ النـظـامـ السـوـرـيـ لـلـحـزـبـ بـتـأـسـيـسـ مـعـسـكـراتـ تـدـريـبـيـةـ فـوـقـ أـرـاضـيـهـ.

وبـدـءـاـ منـ مـطـلـعـ عـامـ 1996ـ قـدـمـتـ تـرـكـياـ (فـيـ عـهـدـ الرـئـيـسـ سـلـيـمـانـ دـيمـيـرـيلـ وـرـئـيـسـ الـوزـراءـ مـسـعـودـ يـلـماـظـ) تـحـذـيرـاتـ لـلـنـظـامـ السـوـرـيـ (أـيـامـ الرـئـيـسـ حـافـظـ الـأـسـدـ) بـضـرـورةـ الإـقـلـاعـ عـنـ دـعـمـ الـحـزـبـ الـكـرـدـسـتـانـيـ، وـإـلـاـ فـإـنـهـ "سـتـضـطـرـ لـاتـخـازـ مـاـ يـلـزـمـ لـحـفـظـ أـمـنـهـ الـقـومـيـ".

وـفـيـ أـكـتوـبـرـ/ـتـشـرـيـنـ الـأـوـلـ 1998ـ بـلـغـتـ الـأـرـمـةـ السـيـاسـيـةـ بـيـنـ الـبـلـدـيـنـ ذـرـوـتـهـاـ -ـبـصـورـةـ غـيرـ مـسـبـوـقـةـ مـنـذـ عـامـ 1958ـ -ـ حـينـ

حشدت أنقرة قوات كبيرة على حدود البلدين، مهددة باحتياج الجانب السوري منها إذا استمر نظام الأسد في توفير ملجاً آمناً لأوغلان.

جرت وساطات إقليمية لاحتواء الأزمة شاركت فيها جامعة الدول العربية ومصر وإيران، وكان من نتائجها توقيع الدولتين اتفاقاً أمنياً بمدينة أضنة التركية يوم 20 أكتوبر/تشرين الأول 1998، وشكل ذلك الاتفاق "نقطة تحول" رئيسية في مسار العلاقات بين الدولتين.

أبرز المضامين:

حسب المتاح إعلامياً عن اتفاق أضنة وملحقة السرية الأربعه فإن أهم مضامينه تتلخص فيما يلي:

- 1- تعاون سوريا التام مع تركيا في "مكافحة الإرهاب" عبر الحدود، وإنهاء دمشق جميع أشكال دعمها للحزب الديمقراطي، وإخراج زعيمه أوغلان من ترابها، وإغلاق معسكراته في سوريا ولبنان (كان آنذاك خاضعاً للوصاية السورية المباشرة)، ومنع تسلل مقاتليه إلى تركيا.
- 2- احتفاظ تركيا بـ"حقها في ممارسة حقها الطبيعي في الدفاع عن النفس" وفي المطالبة بـ"تعويض عادل" عن خسائرها في الأرواح والممتلكات، إذا لم توقف سوريا دعمها للحزب الديمقراطي "فوراً".
- 3- إعطاء تركيا حق "ملحقة الإرهابيين" في الداخل السوري حتى عمق خمسة كيلومترات، و"اتخاذ التدابير الأمنية الالزمة إذا تعرض أنها القومي للخطر".
- 4- اعتبار الخلافات الحدودية بين البلدين "منتهية" بدءاً من تاريخ توقيع الاتفاق، دون أن تكون لأي منها أي "مطالب أو حقوق مستحقة" في أراضي الطرف الآخر.

وقد فُسر هذا البند الرابع بأنه تخلٍ رسمي من سوريا عن مطالبتها بلواء إسكندرون الذي تسميه تركيا "محافظة هاتاي"، ليصبح بموجب هذا البند جزءاً من الأراضي التركية. ويقول مراقبون إن السلطات السورية توافت -بعد توقيعها اتفاق أضنة- عن طباعة أو نشر خرائط رسمية يظهر فيها لواء إسكندرون ضمن حدودها.

مستجدات الثورة:

على إثر توقيع اتفاق أضنة تحولت علاقات أنقرة ودمشق من ذروة التوتر إلى "نقطة التقارب" التدريجي ثم المتسرع، وصولاً إلى الدخول في "حوار إستراتيجي" كان من نتائجه تأسيس مجلس أعلى للتعاون الإستراتيجي، والدخول في عشرات الاتفاques الاقتصادية والإعلامية والثقافية والعلمية والسياحية، وتبادل عشرات الزيارات الرسمية على أعلى المستويات.

في 16 سبتمبر/أيلول 2009 اتفق البلدان على تأسيس "مجلس التعاون الإستراتيجي التركي السوري" الذي أبرمتا -من خلاله وفور تشكيله- ما يزيد على 30 اتفاقية و10 بروتوكولات ومذكرات تفاهم، تشمل مجالات حيوية من بينها الدفاع والأمن والاقتصاد والصحة والنقل، كما وقعا اتفاقية قضت بإلغاء تأشيرات الدخول لرعاياهما.

وفي أكتوبر 2009 قالت وزارة الداخلية التركية إن عدد "الإرهابيين" الذين سلمتهم دمشق إلى أنقرة منذ عام 2003 بلغ 122 شخصاً "بينهم 77 شخصاً من حزب العمال الديمقراطي الكردستاني"، وأكّدت أن اتفاق أضنة "ما زال متواصلاً، ولكن يعاد النظر في مجمل الوثائق ونبذل مسعاً في مجال التعاون الأمني ومكافحة الإرهاب على وجه الخصوص".

وإثر اندلاع أحداث الثورة السورية عام 2011 توترت مجدداً علاقات البلدين حين وقفت أنقرة مع الشعب السوري في

طالبه من نظام بشار الأسد الذي لم يستجب "للنصالح" التركية في الإصلاح، وفي يوليو/تموز 2012 حذرت الحكومة التركية برئاسة رجب طيب أردوغان النظام السوري من مغبة "التورط في دعم الجماعات الإرهابية المسلحة"، في إشارة إلى حزب العمال الكردستاني التركي.

واتهمت أنقرة لاحقاً الأسد بالتنسيق مع حزب الاتحاد الديمقراطي الذي تعتبره فرعاً سورياً لحزب العمال الكردستاني التركي، ويتسلّم المناطق الكردية المحاذية للحدود التركية إلى "الميلشيات الكردية" وخاصة "وحدات حماية الشعب الكردية" (YPK) التابعة للاتحاد الديمقراطي. وهددت تركيا بـ"ممارسة حقها" في ملاحقة المتمردين الأكراد الأتراك داخل سوريا في حال الضرورة.

وفي 11 مايو/أيار 2016 قال الرئيس الدوري للائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية أنس العبدة -في مؤتمر صحفي بولاية بيلاجيك التركية- إن "بروتوكول أضنة يهبي الأرضية الازمة لأنقرة لإقامة منطقة آمنة في سوريا، وفي حال تحقّق ذلك وأقيمت المنطقة الآمنة فإن أنقرة ستكون قد أمنت حدودها، وعندئذ يمكن للسوريين أن يعودوا إلى بلادهم بأمان".

ويرى مراقبون أن عملية "درع الفرات" العسكرية التي أطلقتها أنقرة في صيف 2016 جاءت "تطبيقاً" لبنود اتفاق أضنة وملحقة السرية.

المصادر: